

الملكة ميلسندا (1131-1153م)
وضيفة خاتون (1185-1242م)
دراسة مقارنة

د/ صفاء عثمان
جامعة عين شمس

الملكة ميلسندا (1131-1153م/525-548 هـ)
وضيفة خاتون (1185-1242م/581-640 هـ)
دراسة مقارنة

يتناول هذا البحث بالدراسة الملكة ميلسندا (Melisende 1131-1153م/525-548 هـ) (1) وضيفة (2) خاتون (3) (1185-1242م) دراسة مقارنة وذلك من حيث أن الملكة ميلسندا قد حكمت مملكة بيت المقدس الصليبية لما يقرب من 22 عاما بينما حكمت ضيفة خاتون مدينة حلب الإسلامية مدة ستة أعوام في عصر يعد من أخطر العصور وهو عصر المواجهة الصليبية - الإسلامية.

كما أن الملكة ميلسندا وضيفة خاتون كانا في فترة من فترات حكمها أوصياء على أبنائهم فعلى سبيل المثال الملكة ميلسندا كانت وصية على ابنها بلدوين الثالث Baldwin III (1144-1162 م) بينما ضيفة خاتون كانت وصية على ابنها الملك العزيز محمد بن السلطان الملك الظاهر غازي بن السلطان صلاح الدين الأيوبي (1212-1236م) .

أضف إلى ذلك أن كلتاهما واجهت العديد من الأخطار الداخلية والخارجية فالملكة ميلسندا واجهت خطر داخلى وهو الحرب الأهلية التى أدت إلى إنقسام المملكة بالإضافة إلى مواجهة الخطر الإسلامى المتصاعد بينما ضيفة خاتون واجهت الإنقسامات فى البيت الأيوبي، بالإضافة إلى الخطر الخارجى المتمثل فى التركمان والصليبيين والخوارزميين، ولم يتسن لها مواجهة الخطر المغولى، إذ توفت قبل ذلك فإلى أى مدى حافظت تلك المرأتين على حكمهما من القلاقل الداخلية والخارجية وما مدى مساهمتها فى إفشال المشروع الصليبي فى بلاد الشام؟

زد على ذلك الجانب الإجتماعى لدى كل منهما فالمجتمع الإسلامى فى ذلك

الوقت كان يقوم على الحضارة والتمدن فإمتلكت المدن الإسلامية مثل دمشق وحلب بالعديد من الجوامع والمدارس والخانقاوات، بينما الكيان الصليبي لم يكن يمثل مجتمعا بالمعنى الحقيقي للكلمة، فقد كان قائماً على الحرب، وكل الإنشاءات تصب في آلة الحرب، ولم يترك لنا سوى القلاع، كما أن المنح والإقطاعات التي كان يهبها الملوك الصليبيين للكنائس والأديرة في إعتقادی كانت تصب في النهاية لدعم آلة الحرب وإسترضاء الكنيسة ورجال الدين.

وفيما يتعلق بالملكة ميلسندا نجد أنها قد تولت حكم مملكة بيت المقدس الصليبية وذلك بعد وفاة الملك بلدوين الثاني Baldwin II عام (1131 م) (4) فقد حرص الملك بلدوين الثاني قبيل وفاته على تدبير أمر وراثة العرش، حيث أنه لم ينبج سوى أربع بنات وهن: ميلسندا Melisende وأليس Alice وهوديرنا Hoderna وإيفيتا Iveta وكانت ميلسندا أكبرهن ويحق لها وراثة العرش (5)، فبحث لها عن زوج كفء يحمل عبء الحكم معها، وتم عقد مجلس لبارونات المملكة، ووقع الإختيار على فولك أوف أنجو Fulk of Anjou (1131-1143 م) (6)، وكان رجلاً في الأربعين من عمره وهنالك أصبح فولك وميلسندا يحكمان مملكة بيت المقدس الصليبية .

وقد كانت قوانين الوراثة في مملكة بيت المقدس الصليبية تنص على أن ينقل الحكم إلى أكبر الإناث في حال عدم وجود ذكر، شرط أن تكون متزوجة وتحكم مناصفة مع زوجها، وقد أدى ذلك إلى إختيار بلدوين الثاني زوجها لها، إما إنها لا ترضى به أو إنها تستبد به، وبحكم المملكة في النهاية بما لا يخدم الصالح العام في المملكة، وهو ما حدث بالفعل، فعلى سبيل المثال نجد أن الملكة ميلسندا كانت متعلقة منذ شبابها بفارس صليبي يدعى هيو دى بوازيه Hugh de Puiset كونت يافا، ولم تقلع عما هي عليه حتى بعد زواجها وتوليها العرش، وقد نعى الأمر إلى الملك فولك، ولكنه آثر السكوت، وفيما بعد لقي كونت يافا مصرعه على يد أحد الفرسان (7)، الأمر الذى زاد من حقن المملكة، فما كان من الملك فولك إلا أن إجتهد في كسب ودها فأطلق لها العنان تفعل ما تريد، فأقبلت تتدخل في كل شأن من شئون المملكة، ولم يعد يتخذ قراراً - مهما كان تافهاً دون علمها أو

"إستشارتها" (8).

ولم يلبث فولك أوف أنجوي أن توفي عام (1143 م) وآلت الأمور في مملكة بيت المقدس الصليبية لزوجته ميلسندا وإبنها القاصر بلدوين الثالث (9)، وكان ذلك في مرحلة حرجية أخذت تتجمع فيها بوادر تكوين الجبهة الإسلامية المتحدة نتيجة لجهود عماد الدين زنكي - أتابك الموصل - الذي نجح في الإستيلاء على الرها - أولى الإمارات التي أسسها الصليبيون في الشرق عام (1144 م) - (10)، ولم تفلح القوة التي أرسلتها ميلسندا بقيادة كونستابل مناسيس Manasses في منع وقوع إمارة الرها (11)، إذ أخذت وقتاً طويلاً كى تصل (12) وكانت تلك أولى المخاطر الإسلامية الخارجية التي تعرضت لها ميلسندا، وفشلت في مواجهتها بل وسارت الأمور في المملكة من سىء إلى أسوأ بدءاً من رحيل فولك أوف أنجو ثم سقوط الرها وتعرض إمارة أنطاكية لهجمات معادية على الدوام (13).

ومن ناحية أخرى لم تستطع ميلسندا جمع شمل الأمراء الصليبيين وقت الخطر، فلم تكن من القوة ما يجعلها توفق بين أتباعها، فمنذ وفاة الملك فولك أوف أنجو أصبح نفوذها ضعيفاً على أميرى الرها وأنطاكية (14)، ذلك أن إمارة أنطاكية لم تقدم الدعم والمعونة لإمارة الرها ولم يرسل أميرها أية نجدة (15)، علي الرغم من أن إمارة أنطاكية هى الأقرب إلى الرها من مملكة بيت المقدس التي أستغرقت مساعدتها وقتاً طويلاً لكى تصل، وقد كان غياب التعاون بين كل من إمارتى الرها وأنطاكية ومملكة بيت المقدس الصليبية من أجل درء الخطر الإسلامي سبباً كافياً لسقوط إمارة الرها (16) مع عدم إغفال العوامل الداخلية والخارجية الأخرى، وهكذا كان فشل الملكة ميلسندا في توحيد الجبهة الداخلية لمملكة بيت المقدس الصليبية، وبالتالي فشلها في مواجهتها للمخاطر الخارجية المتمثلة في المسلمين.

ولم تلبث أن زادت الأمور سوءاً إذ تحكمت الملكة ميلسندا في توجيه سياسة المملكة توجيهها خاطئاً، ولم توفق في الإستفادة من حملة لويس السابع Louis IV الذى وصل إلى الشام عام 1148 م (17)، حيث وجهت الحملة بسبب سياسة الأنانية التي

ينتهجها صليبيو بيت المقدس الذين يعارضون القيام بحملات الشمال إلى دمشق، علي الرغم من الصداقة الوطيدة التي ظلت لأعوام طوال بين أهل دمشق والصليبيين (18)، فقد عقد إجتماع في مدينة عكا الساحلية حضرته القوى الصليبية المتمثلة في: لويس السابع ملك فرنسا، وكونراد الثالث Conrad III امبراطور ألمانيا، وميلسندا ملكة بيت المقدس الصليبية، وتشاوروا فيما بينهم ثم إستقر رأيهم على مهاجمة دمشق بدلاً من إستعادة الرها (19).

وهكذا إنخرفت الحملة الصليبية الثانية عن هدفها الأساسي الذي أتت من أجله إلى الشرق، وهو القضاء على الزنكيين وإسترداد شمال الشام، وإستعادة الرها، وجنحت نحو مساعدة بيت المقدس الصليبية التي كانت أقل الوحدات الصليبية تعرضاً لضغط المسلمين عندئذ (20). ويتعرض العديد من المؤرخين بالنقد لتلك السياسة التي أنتهجتها ميلسندا ويصفونها بالحمق وضيق الأفق على نحو جعلها تحارب أقرب حليف لها في صورة أتابكية دمشق، وإختيار التحالف بين الجانبين بصورة نهائية (21)، وأدى الهجوم الطائش لتلك الحملة إلى إندفاع دمشق نحو ذراعى نور الدين محمود عام 1154 م (22) وميل ميزان القوى لصالح المسلمين وربما رآه البعض أنها مقدمة لإنتصارات حطين (23).

وبذلك يتضح لنا مدى التغير الذي طرأ على أوضاع الصليبيين في بلاد الشام ومثلهم ومبادئهم، فبعد أن كان ملوك بيت المقدس السابقون مثل بلدوين الأول وبلدوين الثاني وفولك الأنجوى يضحون بأنفسهم ومصالحهم، ويتحملون الأخطار في سبيل نجدة الرها وأنطاكية وطرابلس، إذ بمملكة بيت المقدس في عهد ملكها القاصر بلدوين الثالث وأمه الوصية ميلسندا تسعى لحرمان الإمارات الصليبية في الشمال من حق مشروع في المساعدة أو النجدة لتستغل حملة صليبية في تحقيق مكاسب تكميلية لنفسها (24).

ومع ذلك لم تشأ ميلسندا أن تتخلى عن السلطة عندما بلغ ابنها بلدوين الثالث سن الثانية والعشرين - سن الرشد - وأصرت على أن تتوج معه؛ ليستمر زمام الأمور في يدها، فإتفقت مع بطريك بيت المقدس على أن يعاد تتويجها هي الأخرى مع ولدها إشارة

إلى مقاسمتها له النفوذ والسلطان، بل أن بعض أشياع ميلسندا وضعوا مشروعا لتقسيم المملكة بين بلدوين الثالث وأمه، فتأخذ ميلسندا بيت المقدس ونابلس ومتعلقاتهما، وتترك لولدها - الملك الشرعى - الأطراف الساحلية مثل صور، وعكا، وملحقاتهما. وكان هذا حلاً سقيماً لا يقتنع به الملك ولا تستقيم به الأمور فتجدد النزاع بينهما، وصمم بلدوين الثالث على أن تكون مملكة بيت المقدس وحدة واحدة لا يحكمها غيره، ولذلك أجل الموعد المحدد الذى حدد لتتويجه حتى إذا ما مضت أيام دخل بمفرده كنيسة القيامة فجأة، وطلب من البطريك تتويجه بمفرده، وقد غضبت ميلسندا لذلك التصرف من جانب ولدها؛ مما أدى إلى غضب أشياعها، ثم إلى قيام حرب أهلية فى المملكة عام 1152 م، وقف فيها الملك والأمراء فى جانب، والمملكة والبطريك فوشيه ومناسيس كونستابل المملكة فى جانب. ولم يجد بلدوين الثالث مفرّاً من مهاجمة ميلسندا فلما سمعت بخطته غادرت نابلس فى رعاية بعض نبلائها المخلصين وأسهرت إلى بيت المقدس وقام بلدوين الثالث فى الوقت ذاته بجمع قواته ومحاصرة مناسيس فى قلعة يسمونها "ميرابل"؛ فإضطر مناسيس للإستسلام، وتلا ذلك قيام الملك بلدوين الثالث بالإستيلاء على نابلس، وزحف منها إلى القدس مطارداً لأمه، ولما سمعت الملكة بذلك؛ إرتدت إلى القلعة فبادر بمحاصرة القلعة التى إعتصمت بها الملكة الوالدة وإنتهى الأمر بتخلى الملكة عن بيت المقدس عاصمة المملكة، والإكتفاء بمدينة نابلس وما حولها (25)، وكانت هذه الخلافات الداخلية ذات نفع عظيم لنور الدين محمود، إذ أنه فى ذلك الحين كان قد مضى فى تنفيذ خطته للإستيلاء على مدينة دمشق (26).

وقد يتخيل للباحث من الوهلة الأولى أن الملكة ميلسندا كانت من القوة بحيث إستمرت فى حكم مملكة بيت المقدس مدة طويلة حوالى 22 عاماً ويكفى أن نطالع ما سطره المؤرخ الصليبى وليم الصورى عن الملكة ميلسندا وكيف "أنها إمراة حصيفة راجحة العقل كبيرة الخبرة بجميع السنون الدنيوية، وقد رأيت كل إمراة من بنات جنسها فما كانت تدانيها فى مستواها واحدة منهن؛ مما أهلها للقيام بمعالجة الأمور الخطيرة أحسن قيام، كما إنها تطلعت لمنافسة أعظم الأمراء مكانة وقوة، حتى لا تبدو دونهم كفاءة، ولما كان إبنها لا

يزال صيبا غرير، فقد إستقلت بمقاليده الحكم وحدها وسيرت شئون الحكومة بمهارة بلغت من الدقة غاية يمكن أن يقال معها بحق أنها كانت مكافئة لأسلافها في هذا المجال، وكان الشعب ينعم بما يرغب فيه من طمأنينة كما كانت تدير المملكة بنجاح وإستطاعت أن تحكم حتى ذلك الوقت كوصية حكماً هو فوق قدرة النساء وشجاعتهم " بل أنه يلوم على إبنها بلدوين الثالث مطالبته بالعرش " غير أن الرغبة في إضطهاد الملكة لم تحمد في صدر إبنها" (27).

والواقع كان غير ذلك، وكأن المؤرخ وليم الصورى يتحدث عن امرأة أخرى غير الملكة ميلسندا، فأى رجاحة عقل وخبرة، وما هى الأمور الخطيرة التى أحسنت القيام بها، هل كان من المفترض أن تقع المملكة فى عهدها ولم تقع؟ وكيف أنها مكافئة لأسلافها، وهى تعد أقلهم بشهادة المؤرخين، إن الأمر لا يتعلق بمدة الحكم وأن الملكة لم تسقط فى عهدها، وإنما يتعلق بمقدار ما حققته خلال تلك السنوات. وفى واقع الأمر أنها لم تحقق للمملكة سوى الخراب، وكفى أنها لم تستطع توحيد الجبهة الداخلية للصليبيين، وتقسيم المملكة إلى نصفين. وأصبح قسم يدين بالولاء للملكة وقسم أخر يدين بالولاء للملك بلدوين الثالث، فأحدثت الفرقة فى صفوف الصليبيين، وذلك على عكس أسلافها الذين كانوا حريصون على وحدة الصليبيين وتماسكهم. وعندما نقارن الملكة ميلسندا بضييفة خاتون التى حكمت حلب لمدة ستة أعوام فقط تكتشف مدى الإختلاف وأن من يستحق أن يوصف ذلك الوصف هى ضيفة خاتون نفسها وليس الملكة ميلسندا.

ف نجد أن ضيفة خاتون قد ساست الأمور فى حلب خير سياسة بعد وفاة إبنها الملك العزيز، وتصدت بحكمة وحنكة سياسية للأخطار الداخلية والخارجية التى واجهت حلب آنذاك، كما دخلت فى علاقات دبلوماسية مع سلاجقة الروم ليكونوا رداً لها ضد الأخطار وذلك عن طريق (الزواج السياسى) (28) ولم يتسنى لها مواجهة الخطر المغولى وأكرمها الله بعدم مشاهدتها لهجمة المغول على بلاد الشام لاسيما حلب.

كما كان لها دور ملموس فى أحداث عصرها لا يقل شأناً عن الدور الذى لعبه

القادة العظام في ذلك العصر، لا فرق بينها وبين أى رجل، وهذا يفسر قوة شخصيتها التى تمتعت بها حيث كانت التواقيع والمكاتبات ترد إليها، فكانت الأمور كلها منوطة بها (29)، وكانت تخاطب فى الرسائل الموجهة إليها (إلى الستر العالى الخاتونى) (30)، وكانت تباشر الحكم بنفسها، حيث كانت تسوس حلب فى تلك الفترة، فكان لا يقرر أمر ولا يبرم إلا بعد موافقتها (31)، وكانت من أصحاب رأى والكمال (32)، ودبرت الملك أحسن تدبير، وتصرفت فى الملك تصرف السلاطين نحو ست سنين (33)، ونهضت بالملك أتم النهوض، ودبرت الأمور فى حلب مرتين تدبيراً جيداً (34)، وكانت صانعة قرار حتى فى أمور الحرب تتدخل فى وضع الخطط (35)، فكانت بمثابة أساس الدولة (36)، والمرجع فى الأمور إلى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل، وهى امرأة عاقلة حازمة (الستر الرفيع والجناب المنيع الملكة الرحيمة عصمة الدنيا والدين) ومن ثم فقد أطلق عليها الملكة كما أطلق عليها أيضاً لقب عصمة الدين لما فيه من معنى العصمة التى يجمع وصف النساء بها (37) وكان للملك العادل عدة بنات أفضلهن ضيفة خاتون (38) صاحبة حلب ولقبها صاحبة والغالب أن هذا اللقب كان بلقب به كبار الوزراء مما يدل على مكانة صاحبه (39)، فقد كانت ذات شخصية قوية تضاهى ملكة مصر شجر الدر حازمة أمينة على السير على نهج زوجها وحكمته (40)، كما لقيت كل العون والإحترام من أبناء الأسرة الأيوبية الحاكمة، وأرسلت لبعضهم السفارات المختلفة فلم يردوا لها طلباً (41)، وتمكنت من الحفاظ على إستقلال حلب، وحفظ الملك بسببها لابنها وحفيدها (42).

ولقد ولدت ضيفة خاتون فى قلعة حلب عام 1158م (43) وتزوجها الملك الظاهر غازى بن صلاح الدين يوسف حاكم حلب عام 1212 م، وذلك بعد وفاة أختها غازية وأصدقها خمسين ألف دينار (44)، ولم يلبث أن توفى الملك الظاهر عام 1216م (45)، فملك ضيفة خاتون حلب كوصية على ابنها الملك العزيز محمد (46)، ولما مات أيضاً عام 1237م ملكت أيضاً ضيفة خاتون حلب كوصية على حفيدها الملك الناصر (47)، إلى أن كبر وإستقل بحكم حلب، فحكمت مرتين ولم تلبث أن توفت أيضاً

عام 1244م بقلعة حلب عن عمر يناهز التاسعة والخمسين عاماً ومن العجب إتفاق مكان مولدها ووفاتها(48).

ويلاحظ أنه في الوقت الذي قامت فيه ضيفة خاتون على حكم حلب كان النزاع والخلاف على أشده بين أبناء البيت الأيوبي خاصة بين السلطان الكامل في مصر وأخيه الملك الأشرف موسى بدمشق، وكان السبب ذلك ما نرى إلى مسامع الملك الأشرف موسى، أن أخاه السلطان الكامل، يريد أن يستولى على أملاك الأيوبيين في بلاد الشام والجزيرة، ويعرضهم عنها بمملكة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، بعد إستيلائه عليها. ومن أجل ذلك إجتمع ملوك الأيوبيين في الشام والجزيرة تحت قيادة الملك الأشرف موسى؛ لمواجهة السلطان الكامل، كما تحالفوا مع سلطان سلاجقة الروم ضد السلطان الكامل(49).

ولقد إنضمت ضيفة خاتون إلى الملك الأشرف موسى ضد أخيها السلطان الكامل، فقد كانت تخشى طموح الأخير (50)، كما أنه حدث بينها وبينه وحشة عندما أرسلت إليه رسولين لتخبره بوفاة ابنها الملك العزيز وقيام الملك الناصر ابنه على حلب على أن تكون الأمور كلها راجعة إليها، إلا أن السلطان الكامل لم يحسن إستقبال رسلها، كما أنه أشار على الرسولين بضرورة قيام الملك الصالح بن الملك الظاهر صاحب عنتاب على قيادة العسكر، ويكون له الوصاية على بن أخيه الملك الناصر، ولم ترحب ضيفة خاتون بذلك، بل رأت في ذلك تدخلاً مباشراً من السلطان الكامل في شئوون حلب؛ مما أثار شكوكها في طمعه للإستيلاء على المدينة، ومن ثم إتفقت مع الملك الأشرف وأنصارها على أن تكون كلمتهم واحدة على الملك الكامل وأن يمنعوه من النزول إلى الشام (51).

ويلاحظ أن بعض الأمراء في حلب ومنهم شهاب الدين يوسف بن عز الدين مسعود بن سابق الدين عثمان صاحب شيزر وكمال الدين بن العجمي أرسلوا في عام 1237م رسولاً إلى الملك الأشرف موسى الأيوبي؛ يطمعانه في الإستيلاء على حلب، بل وحاولا إيهامه بأنهما حولهما جماعة كبيرة من الحلبيين سوف يساعدونه على ذلك، ولما وصل الرسول إلى الملك الأشرف موسى بدمشق لم يستجب له بل قال لهم " بأنه لا يمكن أن يبدو

منى غدر ولا قبيح فى حق ذرية الملك الظاهر"، ولما علمت صاحبة ضيفة خاتون بذلك أرسلت من أعترض طريق هذا الرجل أثناء عودته من دمشق، ولما وصل إلى حلب قبض عليه ومازالوا به حتى أخبر عمن أرسله وهما كمال الدين بن العجمى، وشهاب الدين صاحب شيزر فأمرت بإعتقالهما بالقلعة، ومصادرة أموالهما ولعل هذا يبين لنا مدى حزم هذه السيدة وقدرتها السياسية حتى أنها قضت على تلك الفتنة فى بدايتها (52).

ولم يلبث أن توفى الملك الأشرف موسى الأيوبي عام 1237م، وقد أوصى أن يخلفه فى دمشق أخوه الصالح إسماعيل صاحب بصرى الذى سار على نفس النهج، وأعاد تكوين الحلف المضاد للسلطان الكامل، فأرسل إلى ملوك الشام " ليحلفوا له ويتفقوا معه على القاعدة التى كانت مقررة بينهم وبين الملك الأشرف " (53). ووافق الحلبيون وعلى رأسهم صاحبة ضيفة خاتون على ذلك، وحلفوا له كما حلف له بقية ملوك الشام فيما عدا الملك المظفر صاحب حماه.

وما أن سمعت حلب بموت الكامل حتى سارعت إلى أخذ المعرة من الملك المظفر، ثم حاصرت حماة وضيق عليها الخناق حتى أنفق الملك المظفر الأموال الكثيرة، فأمرت صاحبة ضيفة خاتون بالرحيل عنها عام 1238م، وكان سبب ذلك موافقة صاحب حماة الملك الكامل على الهجوم على حلب بعد إستيلائه على دمشق، ولكنه توفى قبل ذلك (54)، يتضح من ذلك أن ضيفة خاتون كانت تسوس كل الأمور فى حلب حتى فى أمر الحرب، وتتدخل فى وضع خطط الحرب وهى التى أشارت عليهم بالبدء بالمعرة ثم حماة، ومما يؤكد إدراكها للأمور الحربية وحنكاتها السياسية نجاح سياسة الضغط التى إتبعتها مع صاحب حماة فى أن تبقى المعرة فى أيدي الحلبيين (55).

كما أنه فى نفس الوقت الذى توفى فيه السلطان الكامل وصل رسول السلطان غياث الدين كيخسرو إلى " الخاتون الملكة " وطلب منها الزواج من ابنة الملك العزيز (غازية خاتون) وأن يزوج الملك الناصر من أخت السلطان غياث الدين كيخسرو ووافقت صاحبة ضيفة خاتون على هذا الزواج السياسى حتى يكون سلاحقة الروم ردءاً لها ضد أى عدوان

عليها سواء مصر أو من الشام (56).

ولم تشأ ضيفة خاتون أن تدخل في عداوة جديدة مع ابن السلطان الكامل الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأرادت أن تكسب الجميع إلى صفها من أجل الحفاظ على عرش حلب، وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير، ذلك أن الخوارزميين قد خرجوا على الملك الصالح وإستولوا على البلاد، كذلك طمع السلطان غياث الدين كيخسرو في أملاك الصالح أيوب في الجزيرة، لذلك لجأ إلى التحالف مع ملوك الأيوبيين في الشام على إقتسام أملاكه في الجزيرة، ويلاحظ أن ضيفة خاتون قد وقعت على هذا العرض من قبل سلاجقة الروم، غير أنها في نفس الوقت لم تقدم على الإستيلاء على تلك البلاد، ولم تتعرض لشيء منها، حيث أنها " لم تؤثر مضايقة بن أخيها الملك الصالح في البلاد "، ولما رأى الملك الصالح أيوب هذا الموقف من عمته ضيفة خاتون أرسل يعرض عليها أخذ البلاد وغيرها من بلاده فقال لها "البلاد كلها بحكمك وإن شئت إرسال نائب يتسلم هذه البلاد وغيرها فأرسله لأسلم إليه ما تأمرين بتسليمه فشكرته وطيب قلبه " (57).

ومن ثم أرادت ضيفة خاتون أن تستمر العلاقة الحسنة بينها وبين سلطان سلاجقة الروم، كما إنها لم تشرع في الإستيلاء على أملاك الصالح أيوب، مما يؤكد حنكته وقدرتها السياسية، وقد أتت هذه السياسة ثمارها عندما إعتلى الصالح أيوب عرش السلطنة في مصر عام 1239م، وكانت صاحبة ضيفة خاتون قد أرسلت إلى مصر ابن العديم ليطلب من السلطان العادل الثاني إحضار عماته بنات الملك العادل إليها، ويقول ابن العديم في هذا الصدد " إستحضرني الملك الصالح أيوب وقال تقبل الأرض بين يدي الستر العالي، وتعرفها أنني مملوكها وأنا عندى في محل الملك الكامل وأنا أعرض نفسي لخدمتها، وإمثال أمرها فيما تأمر به " (58) وربما أراد من ذلك أن يرد لها الجميل ويحلها ومن ناحية أخرى يضمن ولاءها خاصة وأن حلب تمثل جزءاً كبيراً من بلاد الشام، وأن هناك أجزاء كبيرة من بلاد الشام تقف ضده مثل دمشق وحمص (59)، ويؤكد ذلك ابن العديم عندما مر بدمشق بعد خروجه من مصر، حيث وصل إليها في عام 1241م إلتقى بالصالح إسماعيل وحمله رسالة

إلى الصاحبة ضيفة خاتون يطلب منها مساندته ضد الصالح فلم تجبه إلى ذلك (60). وهكذا استطاعت ضيفة خاتون الحفاظ على عرش حلب ولم ترد إستعداد الصالح مثل أبيه الكامل، فأمنت شره ورتبت البيت الحلبى من الداخل وأمنت في مواجهة الأخطار الخارجية، والتي كان من أهمها التركمان مستغلين وفاة الملك العزيز فقد هاجموا في جمع كبير بقيادة رجل يدعى قنغر أطراف بلاد حلب، وتكررت هذه الإغارات من قبل التركمان أكثر من مرة، حيث كان قنغر هذا ومن معه يهاجمون أطراف حلب، ثم يدخلون إلى بلاد سلاجقة الروم، فأرسلت الصاحبة القوات الحلبية ورائهم، وتمكنت من إنزال الهزيمة بالتركمان، وظنت القوات الحلبية أن ذلك بإيعاز من سلطان سلاجقة الروم؛ لذلك أرسلوا إليه يخبروه بأمر هؤلاء التركمان، فأنكر معرفته بهذا، وأمر برد جميع ما أخذ من أعمال حلب بل أعلن نصرته ووقوفه مع السلطان الناصر صاحب حلب ضد أى عدوان عليه لذلك كف التركمان أيديهم عن حلب (61).

ولم يلبث أن إنتهز الصليبيين فرصة وفاة الملك العزيز وهاجم فرسان الداوية في بغراس التابع لحلب في عام 1237م، وإستولوا على ما فيه، ولما علمت الصاحبة بذلك أمرت القوات الحلبية بنجدة العمق، وخرج الملك المعظم توران شاه بن صلاح الدين مقدم القوات الحلبية على رأس جيش كبير إلى بغراس لمهاجمة الداوية، ولما وصلت القوات الحلبية إلى بغراس حاصروها وشددوا الحصار عليها، حتى كاد الحصن أن يسقط، لولا تدخل بوهيمند الخامس صاحب أنطاكية وطرابلس (1233-1251 م) حيث شفع للداوية لدى الملك المعظم توران شاه .، وعرض عليه عقد هدنة معهم، ووافق الملك المعظم على الهدنة ورحلوا عن بغراس بعد أن خربت خراباً شديداً، ثم تحركت القوات الإسلامية، ووصلت إلى دريساك حيث رأى الداوية في هذه الهدنة إذلالاً لهم، فسارعوا بنقضها بعد فترة قصيرة وتمكنوا من إعداد حملة كبيرة بمساندة صاحب جليل وغيره من الصليبيين، وتحركوا لشن هجوم مفاجئ على دريساك، وعندما وصل الخبر بذلك إلى القوات الحلبية القريبة منهم تحركت من فورها إلى دريساك لنجدتهم وإلتقت مع القوات الصليبية، وتمكنت من إنزال هزيمة ساحقة غير أن

القوات الحلبية لم تتعقبهم إلى بغراس، ولم تحاول الإستيلاء عليها، ربما لكي يتفرغوا لمواجهة أطماع السلطان الكامل(62) كما ذكرنا من قبل.

ذلك عن التركمان والصليبيين، أما الخوارزمية فقد إستولوا عام 1240م على "أوشين" التابعة للبيرة، وهاجموا أطراف البيرة، كما إستولوا على قلعة حران، فإمتدت أطماعهم إلى البلاد المجاورة لهم، وكثر ضغطهم على الملك الحافظ أرسلان بن الملك العادل بناحية جعبر، وهو يداريهم ويبدل لهم الأموال وأطماعهم تشتد، فإضطّر الملك الحافظ إلى مراسلة أخته ضيفة خاتون صاحبة حلب يعرض عليها التنازل عن قلعة جعبر، وبالس مقابل ما يقوم مقامهما من أعمال حلب، ووافقت ضيفة خاتون على ذلك خاصة وأن أخيها كان قد إشتد به المرض وأصبح غير قادر على الدفاع عن بلاد الجزيرة ويخشى أن يقوم إبنه بتسليمها إلى الخوارزمية (63).

وبالإضافة إلى ذلك فقد نجحت صاحبة ضيفة خاتون في إستقطاب العربان من جيش الخوارزمية، فوافقهم على بن حديثة، وأمرت طاهر بن غنام من آل فضل على سائر العربان، " وزوجته صاحبة بعض جواربها وأقطعتة إقطاعاً يرضيه" (64).

تصدى الجيش الحلي للخوارزميين مدافعاً عن أطراف حلب، إلا أنه إنهمز أمام جموعهم الكثيرة، وقتل خلق كثير، وأسر قائد العسكر الملك المعظم توران شاه، وإستولى الخوارزميين على أثقالهم (65)، إلا أن الحلبيين حملوا عليهم ثانياً بالإستعانة بالملك المنصور إبراهيم صاحب حمص، كما أرسلت صاحبة ضيفة خاتون إلى أخيها الصالح إسماعيل في دمشق إبن العديم لطلب النجدة، فإستجاب لها (66)، ولم تكتف صاحبة ضيفة خاتون بالتحالف مع الصالح إسماعيل صاحب دمشق بعد أن كانت خذلت من قبل، ورفضت أن تسانده ضد الصالح أيوب، بل نجدها تلجأ إلى إطلاق أسارى صليبي الداوية الذين أسروا في حلب وقت إغارهم على إقليم العمق عام 1237م؛ وذلك حتى تضمن عدم مهاجمة الصليبيين لها وقت إنشغالها مع الخوارزميين (67).

على أية حال فقد ولى الخوارزميون منهزمون وإستولى عسكر حلب على معاقلهم

كلها غير أنه عام 1242م، عاد الخوارزميون للإعتداء على حلب فخرج لهم عسكر حلب وحدثت بين الفريقين معركة عند المجدل أسفرت عن هزيمة الخوارزميين وحلفاؤهم والإستيلاء على كل ما يملكونه في عسكرهم (68).

ومثلما تفوقت ضيفة خاتون في العمل السياسى ومواجهة الأخطار الداخلية والخارجية وحافظت على إستقلال حلب لإبنها ولإبنه من بعده، نجدها أيضاً تتفوق في العمل الإجتماعى فقد كانت ملكة عادلة في الرعية، قدمت إليهم الكثير من الأموال، ورفعت عن كاهلهم كافة الضرائب والمكوس والمظالم، بالإضافة إلى أنها كانت تؤثر الفقراء والزهاد، كثيرة الإحسان والتحنن إليهم، ولم تقتصر سياستها على الرعية في حلب، بل إمتدت إلى كافة أعمالها، ولم تزل صدقاتها دارة وإحسانها واصلاً إلى كل من يفد إلى بابها وما قصدها أحد إلا رجع مجبراً مجبوراً (69).

كما ينسب إليها رعاية عناصر الزهاد والعباد، فقد أنشأت الفردوس وجعلتها تربة ومدرسة، ورباطاً وجامعاً، ورتبت فيها خلقاً من القراء والفقهاء والصوفية (70)، كما أنشأت خانقاه الفرافرة (71)، والتي ينقطع فيها الصوفية للعبادة والذكر كما تحوى أخلاطاً من الفقراء وأبناء السبيل (72). وهكذا إمتازت ضيفة خاتون بنشاط وافر في العمل السياسى والإجتماعى (73) جعلت أبواب حلب تغلق لموتها لمدة ثلاثة أيام (74).

وعندما نقارنها بالملكة الصليبية ميلسندا سواء على المستوى السياسى أو الإجتماعى نجد أنه على المستوى السياسى لم تستطع الملكة ميلسندا رغم حكمها لمدة 22 عاماً أن توحد الجبهة الداخلية للصليبيين في مواجهة الخطر الإسلامى المتزايد بل وعلى العكس ساهمت في إندلاع حرب أهلية عملت على تقسيم المملكة إلى نصفين فأحدثت الفرقة في صفوف الصليبيين كما أنها لم تستطع أن تتصدى للأخطار الخارجية المتمثلة في حركة الجهاد الإسلامى، بدءاً من سقوط الرها وفشل الحملة الصليبية الثانية ثم إستيلاء نور الدين محمود على دمشق عام 1153 م، ومن ثم يمكننا القول أنها ساهمت بطريق غير مباشر في فشل

الحروب الصليبية - حركة الاستعمار الأوروبي في العصور الوسطى

المشروع الصليبي في بلاد الشام بينما نجد ضيفة خاتون أي قرابة ربع مدة حكم ميلسندا باستثناء عامين استطاعت على الرغم من أن مدة حكمها أقل وهو ست أعوام أن تحافظ على إستقلال حلب لابنها ولإبنه من بعده، وتمكنت من مواجهة الأخطار الداخلية المتمثلة في إنقسامات البيت الأيوبي، والخارجية المتمثلة في التركمان والصليبيين والخوارزميين، بل وكرمنا القول أنها حافظت على حلب، والتي كان عليها ضغط شديد من قبل القوى الصليبية على مدى الصراع الصليبي - الإسلامي.

وإذا كان هناك وجه إتيافاق بين الملكة ميلسندا وضيفة خاتون فإن كلتاهما ساهمت بطريقة غير مباشرة في فشل المشروع الصليبي في بلاد الشام، ونجاح حركة الجهاد الإسلامي. أما على المستوى الإيتماعى فنجد تفوقاً ظاهراً لضيفة خاتون، الذي كان نتاجاً لتفوق الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، وذلك على عكس الملكة ميلسندا والتي كانت نتاجاً لكيان صليبي عدواني غاشم قائم على دعم آلة الحرب وسفك الدماء فقط على نحو ذكرناه من قبل.

الهوامش

* أوتجه بالشكر للأستاذ الدكتور محمد مؤنس عوض الذي أقترح عليّ موضوع موضوع هذا البحث وشجع لي بالمشاركة في تكريم العلامة ا. إسحق عبيد.

(1) William of Tyre , History of the deeds done beyond the sea, Trans. by Bebcok and Krey , Vol .II, New York 1943, PP.135-139, Mayer (H.E.), " Studies in the History of Queen Melisenda of Jerusalem", D.O.P., Vol.XXVI, 1972, PP.93-182.

أسامة زكي زيد، "ملكات بيت المقدس في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري"، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، عدد 8، يناير 1995م، ص 21-66.

(2) "السيدة ضيفة خاتون ابنة السلطان الملك العادل سيف الدين أبو بكر ولدت في عام 1185 م / 581 هـ بقلعة حلب حين كان والدها ملكاً على حلب من قبل أخيه صلاح الدين وسبب تسميتها صيفة أنه كان عند أبيها ضيف وقت ولادتها فسمّاها ضيفة وهي شقيقة الملك الكامل محمد الذي إعتلى عرش السلطنة بعد وفاة والده العادل " أنظر :-

ابن العديم، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق خليل منصور، ط.بيروت 1996م، ص 513؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم عرب ويحيى سيد حسنين، ج 3، ط.القاهرة ب.ت، ص 207-208؛ ابن الوردي، تمة المختصر في أخبار البشر، ج 2، ط.القاهرة 1285م، 1866م، ص 172؛ الحنبلي، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق مديحة الشرقاوي، ط.القاهرة 1996م، ص 283 .

(3) الخاتون كلمة فارسية ومعناها المرأة صاحبة الكلام في البيت المتصرفة فيه ومنها خاتون التركية والكردية أنظر :- السيد أدى آشير، الألفاظ الفارسية المعربة، ط.القاهرة 1988م، ص 51.

(4) عن الملك بلدوين الثاني أنظر:-

William of Tyre, op.cit, Vol.I, P.95, P.116, Vol.II, PP.45-

46.

صفاء عثمان محمد إبراهيم، مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثاني، ط. القاهرة 2008م.

(5) Runciman, A history of the Crusades, Vol.II, London, 1978, P.117, La Monte (J.) ,The Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem ,Cambridge 1932 , New York 1970, P.10, Mayer (H.E.), "The Succession to Baldwin of Jerusalem English Impact on the East", D.O.P, Vol.XXVI, 1972, PP.93-187.

حسين مؤنس، نور الدين سيرة مجاهد صادق، ط. القاهرة 1984م، ص 154.

(6) عن فولك أوف أنجو أنظر :-

Orderic Vitalis , The Ecclesiastical History of Orderic Vitalis, ed.and trans.by Marjorie Chibnall, Oxford 1973, William of Tyre, op.cit, Vol.II, PP.47-91, Mayer (H.E.), "Angevins versus Normans the Men of king Fulk of Jerusalem ", A.P.S., Vol.133, 1989.

سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد فولك أوف أنجو (1131-1143م / 526-538 هـ)، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس عام 2001م؛ "الأوضاع الداخلية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك فولك الأنجوى"، ضمن دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب، إصدار د. محمد مؤنس عوض، ط. القاهرة 2003م.

(7) ولیم الصوری، الحروب الصليبية، ت. حسن حبشى، ج 3، ط. القاهرة 1994م، ص 123-124؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 156؛ سرور عبد المنعم، السياسة الداخلية والخارجية، ص 65-69.

Runciman, op.cit, Vol.II, PP. 192-193, La Monte, op.cit, P.13, Mayer, Queen Melisenda , P.102

(8) وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص125؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص157.

Runciman, op. cit, Vol. II, PP. 193, Mayer, Queen Melisenda, P. 104.

(9) عن الملك بلدوين الثالث أنظر:-

عبد اللطيف عبد الهادي، السياسة الخارجية لمملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الثالث (1146-1163)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 1990م.

Baldwin , The Latin States Under Baldwin III and Amalric I, (1143-1174), In Setton, A History of the Crusades , Vol. I, Pennsylvania 1985.

(10) عن سقوط إمارة الرها الصليبية أنظر :-

ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ط. بيروت 1908م، ص279-280؛ الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ط. بيروت 1980م، ص187؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق يوسف الدقاق، ج9، ط. بيروت 1998م، ص331-332؛ التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تحقيق عبد القادر طليمات، ط. القاهرة 1963م، ص66-69؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج1، ط. بيروت 2002م، ص170-171؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص324-325؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، ج1، ط. القاهرة 1953م، ص93-94؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ط. بيروت 1997م، ص196؛ اليافعي اليمني، المكى، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق خليل منصور، ج3، ط. بيروت 1997م، ص207؛ علية الجنزوري، إمارة الرها الصليبية، ط. القاهرة 1986م، ص307-318.

Eugene III Announce a Crusade 1145, In Thatcher , A Source Book of Medieval History, New York 1905, Nerses Schnorhali, Eligie sur la prise d'Edessa, R.H.C.,

Doc.Arm,T.I,Paris1869,PP.227-268, Gregoire le Pretre, R.H.C.,Doc.Arm,T.I,Paris1869,P.157,Alptekin (C.), The reign of Zangi (521-541/1127-1146), Ataturk University, Erzurum1978,PP.64-65,Gibb(H.),” Zengi and the fall of the Edessa” In Setton, A History of the Crusades, Vol.I, Pennsylvania1985,461.

(11) وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص238 ؛حسين مؤنس، المرجع السابق، ص173.

Mayer,Queen Melisenda,P.117

(12)William of Tyre, op.cit, Vol.II, P.142, Grousset (R.), Histoire des Croisades ,T.II, Paris 1943, P.128, Richard(J.), Le Royaume Latin de Jerusalem, Paris1953, P.46, La Monte,op.cit,P.194.

علية الجنزوري، المرجع السابق، ص311.

(13) وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص331.

(14) Grousset (R.),op.cit,T.I,PP.174-175.

(15)William of Tyre,op.cit, Vol.II,PP.142-143,Grousset (R.), op.cit, T.II,P. 182, Cahen (C.), La Syrie du Nord, Paris 1940, P.370.

علية الجنزوري، المرجع السابق، ص311.

(16) صفاء عثمان محمد إبراهيم، عوامل فشل المشروع الصليبي في القرنين 12-13م/6-7هـ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس 2010م، ص95.

(17) سعيد عاشور، "ملامح المجتمع الصليبي في بلاد الشام"، مجلة المستقبل العربي، العدد102، أغسطس 1987م، ص37.

(18) جون لامونت، "الحروب الصليبية والجهاد"، ضمن كتاب دراسات إسلامية، ت.نقولا زيادة، ط.القاهرة 1960م، ص115 ؛عبد الرحمن زكي، معركة المنصورة وأثرها في

- الحروب الصليبية، ط. القاهرة 1960م، ص21.
- (19) وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص307-308.
- Runciman, op.cit, Vol.II, PP.280-281, Mayer, Queen Melisenda, P.126.
- (20) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ط. القاهرة 1963م، ص630.
- Berry(G.V.), "The Second Crusade", In Setton, A History of the Crusades , Vol.I, Pennsylvania 1985, P.505.
- (21) إرنست باركر، الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العريبي، ط. القاهرة 1960م، ص91؛ محمد مؤنس عوض، في الصراع الإسلامي الصليبي السياسة الخارجية للدولة النورية، ط. القاهرة 1998م، ص147.
- Mayer, Queen Melisenda, PP.123-128.
- (22) يوشع براور، الإشتيطان الصليبي في فلسطين، ت. عبد الحافظ البناء، ط. القاهرة 2001م، ص42.
- La Monte, op.cit, P.17, Queen Melisenda, P.128.
- (23) صفاء عثمان، عوامل فشل المشروع الصليبي، ص99.
- (24) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص630.
- (25) عن الحرب الأهلية أنظر:-
- وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص232-336؛ سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص646؛ حسين مؤنس، المرجع السابق، ص248.
- Runciman, op.cit, Vol.II, PP.334-336, La Monte, op.cit, P.18, Queen Melisenda, P.95.
- (26) حسين مؤنس، المرجع السابق، ص248.
- Runciman, op.cit, Vol.II, P.334.
- (27) وليم الصوري، المصدر السابق، ج3، ص234، 331، 334.
- (28) منى سعد الشاعر، " خاتونات البيت الأيوبي ودورهن في الحياة السياسية والاجتماعية

والعلمية في العصر الأيوبي"، مجلة المؤرخ المصري، ع24، كلية الآداب، جامعة القاهرة 2001م، ص172.

(29) ابن العديم، المصدر السابق، ص487؛ ابن واصل، المصدر السابق، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور، ج5، ط. القاهرة 1975م، ص116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص173.

(30) ابن العديم، المصدر السابق، ص487.

(31) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ط. القاهرة ب.ت، ص21، ابن العديم، المصدر السابق، ص487؛ بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، ج2، ط. دمشق 1988م، ص1953؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص194؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد ضياء الرئيس، ج29، ط. القاهرة 1992م، ص217؛ ويذكر اليافعي "وهي كانت من الأتابك تسوس الأمور" أنظر: مرآة الجنان، ج4، ص68؛ المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط. بيروت 1997م، ص377؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، تحقيق خليل شحادة وسهيل زكار، ج5، ط. بيروت 2000م، ص410-413؛ الطباخ الحلبي، أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، تحقيق محمد كمال، ج2، ط. حلب 1923م، 1988م، ص208؛ يوسف الدبس، تاريخ سوريا، ج6، ط. بيروت 1900م، ص222؛ الغزي، نهر الذهب في تاريخ حلب، ج3، ط. حلب 1942م، ص115، محمد كرد علي، خطط الشام، ج2، ط. دمشق 1983م، ص91؛ سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، ط. القاهرة 1996م، ص116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص174؛ فادي عبد الرحيم عودة، الحركة الشعرية في بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (634-658 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2010م، ص9.

(32) خليل بدوي، موسوعة شهيرات النساء، ط. الأردن - عمان 1998م، ص162.

(33) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري،

ج46، ط. بيروت 1998م، ص437؛ ابن الوردي، المصدر السابق، ج2، ص172؛ ابن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق وداد القاضي، ج16، ط. فرانزشتاين شتوتغارت 1991م، ص328؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص283؛ سبط بن العجمي، كنوز الذهب في تاريخ حلب، تحقيق شوقي شعث وفالح باكور، ج1، ط. حلب 1996م، ص328؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص229؛ عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج2، ط. دمشق 1959م، ص339؛ محمد كرد علي، المرجع السابق، ج2، ص98.

(34) ابن العميد، المصدر السابق، ص32؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ ابن أيبك الصفدي، المصدر السابق، ج16، ص328.

(35) منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178.

(36) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص216؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط - محمود أرناؤوط، ط. بيروت 1998م، ص294.

(37) ابن العديم، المصدر السابق، ص487؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص215-216؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ط. القاهرة 1989م، ص146؛ محمد كرد علي، المرجع السابق، ج2، ص106.

(38) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ط. حيدر آباد الدكن 1951م، ص597؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج5، ط. بيروت 2002م، ص171؛ ابن سباط، تاريخ بن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ج1، ط. طرابلس 1993م، ص264؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص212.

(39) أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص351؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص437؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ص94؛ خير الدين الزركلي، الأعلام، ج3، ط. بيروت 2002م، ص216؛ علي السيد علي، المرأة المصرية

- والشامية في عصر الحروب الصليبية، ط. القاهرة 2002م، ص 58.
- (40) خير الدين الأسدي، أحياء حلب وأسواقها، تحقيق عبد الفتاح رواسى القلعرجى، ط. بيروت 1990م، ص 39.
- (41) " ومنها السفارة التى أرسلت فيها المؤرخ ابن العديم إلى الملك العادل الثانى الأيوبي فى القاهرة ليطلب من العادل أن يسير معه بنات الملك العادل الأول فأجابها إلى ذلك ثم حدث أن صار الملك الصالح سلطانا على مصر قبل رحيل ابن العديم من القاهرة فإستحضره الصالح وأكرمه وزوده برسالة إلى ضيفة خاتون جاء فيها أنه " يقبل الأرض بين يدى الستر العالى ويعرفها أنه مملوكها وأنه بمحل الك الكامل وأنه يعرض نفسه لخدمته وإمثال ما ترسم به " أنظر: زبدة الحلب، ص 500؛ على السيد على، المرجع السابق، ص 58.
- (42) النويرى، المصدر السابق، ج 29، ص 301.
- (43) أبو الفداء، المصدر السابق، ج 3، ص 207-208؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج 46، 437؛ ابن الشحنة، روضة المناظر فى علم الأوائل والأواخر، تحقيق سيد محمد مهني، ط. بيروت 1997م، ص 252؛ الصفدى، المصدر السابق، ج 16، ص 328؛ الحنبلى، المصدر السابق، ص 83؛ الطباخ الحلبى، المرجع السابق، ج 2، ص 212؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج 2، ص 339؛ خليل بدوى، المرجع السابق، ص 162؛ الزركلى، المرجع السابق، ج 3، ص 216؛ خير الدين الأسدي، موسوعة حلب المقارنة، تحقيق الأديب محمد كمال، ط. حلب 2009م، ص 224.
- (44) ابن العديم، المصدر السابق، ص 450-451؛ ابن أبيك الدودارى، الدر المطلب فى أخبار بنى أيوب؛ تحقيق سعيد عاشور، ط. القاهرة 1972م، ص 176-178؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج 3، ص 207-208؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج 46، ص 473؛ الصفدى، المصدر السابق، ج 16، ص 328؛ ابن الفرات، تاريخ بن الفرات، تحقيق حسن الشماع، ج 1، ط. القاهرة 1970م، ص 119-126؛ المقرئى، المصدر السابق، ج 1، ص 293-295؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص 283؛ سبط بن العجمى،

المصدر السابق، ج1، 327؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص212-214؛ النعمى، الدارس فى تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ج1، ط. بيروت 1990م، ص259؛ الطباخ الحلى، المرجع السابق، ج2، 212؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص229.

(45) عن وفاة الملك الظاهر أنظر: -

ابن الأثير، الكامل، ج10، ط. بيروت 2004 م، ص369؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ج5، ص145؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص454؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، ج4، ط. بيروت 1971م، ص6؛ ابن العبرى، تاريخ مختصر الدول، ط. بيروت 1983م، ص403؛ أبو الفداء، التبر المسبوك فى تواريخ الملوك، تحقيق محمد زينهم محمد عرب، ط. القاهرة 1995م، ص73؛ ابن الكثير، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله بن التركى، ج17، ط. القاهرة 1998م، ص52؛ الذهبى، العبر فيمن غير، ج3، ط. بيروت 1985م، ص16؛ ابن الفرات، المصدر السابق، ج1، ص201-204؛ المقرئى، المصدر السابق، ج1، ص305؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج3، ص241؛ ابن سباط، المصدر السابق، ج1، صص256؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص203.

(46) عن الملك العزيز أنظر: -

سبط بن الجوزى، المصدر السابق، ج8، ص703؛ ابن العميد، المصدر السابق، ص8، ص21؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص485؛ ابن خلكان، المصدر السابق، ج4، ص9-10؛ ابن العبرى، المصدر السابق، ص473؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص194؛ ابن القوطى، الحوادث الجامعة والتجارب النفعية، ب. ط. ب. ت، ص41؛ النويرى، المصدر السابق، ج29، ص217؛ ابن الكثير، المصدر السابق، ج17، ص229؛ الذهبى، دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة ومحمود أرناؤوط، ج2، ط. بيروت 1999م، ص145؛ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص216؛ الياغى اليمنى،

المصدر السابق، ج4، ص68؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص405؛ ابن دقماق، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تحقيق سمير طياره، ط. بيروت 1999م، ص85-86؛ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص377؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، ج16، ط. بيروت 1992م، ص634؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص309؛ ابن سباط، المصدر لاسابق، ج1، ص309؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص222؛ محمد كرد على، المرجع السابق، ج2، ص291.
(47) عن الملك الناصر أنظر :-

فادى عبد الرحيم عودة، الحركة الشعرية فى بلاط الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن العزيز (634-658 هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس 2010م.

(48) عن وفاة ضيفة خاتون أنظر :-

ابن العميد، المصدر السابق، ص32؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص207-208؛ الدودارى، الدر المطلب، ص351؛ النويرى، المصدر السابق، ج29، ص301؛ الذهبى، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ ابن الوردى، المصدر السابق، ج2، ص172؛ الصفدى، المصدر السابق، ج16، ص328؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج5، ص413؛ ابن الشحنة، المصدر السابق، ص252؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص283؛ سبط بن العجمى، المصدر السابق، ج1، ص327؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص212؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص6؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص340؛ خليل بدوى، المرجع السابق، ص162؛ الزركلى، المرجع السابق، ج3، ص216؛ خير الدين الأسدى، موسوعة حلب المقارنة، ص224.

(49) سبط بن الجوزى، المصدر السابق، ج8، ص699-700؛ الدودارى، المصدر السابق، ص217-218؛ النويرى، المصدر السابق، ج29، ص116-117؛ اليافعى اليمنى، المصدر السابق، ج4، ص69-70؛ المقرئ، المصدر السابق، ج1، ص377-

- 378؛ الحنبلى، شفاء القلوب، ص271-272؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص122، 121، 100، 77، 144؛ يوسف الدبس، المرجع السابق، ج6، ص222؛ عادل عبد الحافظ حمزة، نيابة حلب في عصر سلاطين المماليك (1250-1715م/623-648 هـ)، ج1، ط. القاهرة 2000م، ص53-54.
- (50) رانسيومان، تاريخ الحروب الصليبية، ت. السيد الباز العرينى، ج3، ط. بيروت 1997م، ص398.
- (51) ابن العديم، المصدر السابق، ص489؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص120-122؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص174؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص11.
- (52) ابن العديم، المصدر السابق، ص489؛ ابن الواصل، المصدر السابق، ج5، ص128-130؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص175؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص12.
- (53) ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص147؛ سعيد عاشور، الأيوبيون والمماليك، ص1115-116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، 175.
- (54) ابن العديم، المصدر السابق، ص498؛ الغزى، المرجع السابق، ج3، ص116؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178-179؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص15.
- (55) منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178.
- (56) ابن العديم، المصدر السابق، ص494؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص198؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص183؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص209؛ منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص178.
- (57) ابن العديم، المصدر السابق، ص496-497؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص186.

- (58) ابن العديم، المصدر السابق، ص500؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص268.
- (59) منى سعد الشاعر، المرجع السابق، ص180.
- (60) ابن العديم، المصدر السابق، ص500؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص268-269.
- (61) ابن العديم، المصدر السابق، ص490؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص130؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص12.
- (62) ابن العديم، المصدر السابق، ص490-491؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص132-133.
- (63) ابن العديم، المصدر السابق، ص500؛ أبو الفداء، المصدر السابق، ج3، ص203؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص79؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص209-210؛ الغزى، المرجع السابق، ج3، ص203؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص15.
- (64) ابن العديم، المصدر السابق، ص505؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص288.
- (65) ابن العديم، المصدر السابق، ص503؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص283-284؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص13.
- (66) ابن العديم، المصدر السابق، ص504-505؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص288؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص13؛ محمد مؤنس عوض، صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ط. القاهرة 2008م، ص283.
- (67) ابن العديم، المصدر السابق، ص505.
- (68) ابن العميد، المصدر السابق، ص32؛ ابن العديم، المصدر السابق، ص511-512؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج5، ص311؛ فادى عبد الرحيم، المرجع السابق، ص13.
- (69) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ الصفدى، المصدر السابق، ج16، ص328؛ سبط بن العجمي، المصدر السابق، ج1، ص328؛ ابن

واصل، المصدر السابق، ج5، ص313.

(70) ابن شداد، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق زكريا عبادة، ج1، ط. دمشق 1991م، ص261؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ حلب، ط. دمشق 1984م، ص113؛ سبط بن العجمي، المصدر السابق، ج1، ص322؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص213-217؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص289-291؛ أبو فرج العشي، أثارنا في الإقليم السوري، ط. دمشق 1960م، ص70؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص339؛ محمد كرد علي، المرجع السابق، ج6، ص106؛ عفيف بهنسي، الشام والحضارة دراسة تاريخية، ط. دمشق 1986م، ص158؛ خير الدين الأسدي، أحياء حلب وأسواقها، ص298-300؛ خير الدين الأسدي، موسوعة حلب المقارنة، ص224.

(71) خانقاه كلمة فارسية معناها بيت وجعلت في بادئ الأمر لإنقطاع الصوفية فيه للعبادة والذكر ويمكن القول بأن الخانقاه في عصر سلاطين المماليك أصبحت مسجد وبيت للصوفية وقد تكون مسجد ومدرسة ومساكن للطلبة كذلك أطلق لفظ خانقاه على المكان الذي يجتمع فيه الصوفية لممارسة وظيفة التصوف أنظر: محمد محمد أمين وليمي على إبراهيم، المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، ط. القاهرة 1990م، ص39.

(72) ابن شداد، المصدر السابق، ج1، ص237؛ ابن الشحنة، الدر المنتخب، ص108؛ الطباخ الحلبي، المرجع السابق، ج2، ص212؛ الغزي، المرجع السابق، ج2، ص8؛ عمر رضا كحالة، المرجع السابق، ج2، ص339؛ أحمد رمضان، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام، ط. القاهرة 1977م، ص152؛ محمد كرد علي، المرجع السابق، ج6، ص143؛ عفيف بهنسي، المرجع السابق، ص158؛ خير الدين الأسدي، أحياء حلب وأسواقها، ص94، 291، 292، 402.

(73) محمد مؤنس عوض، صلاح الدين بين التاريخ والأسطورة، ص283.

(74) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير، ج46، ص473؛ الصفدي، المصدر السابق، ج16، ص328؛ سبط بن العجمي، المصدر السابق، ج1، ص328.